رسالة من الارض المحتلة :
تأملات في ذكرى وعد بلفور

أ . ت .

تلقت « شؤون فلسطينية » الرسالة التالية من مراسلة خاصة في الارض المحتلة . ونحن ننشرها دون أن نتبنى بالضرورة جميع الملاحظات والمقترحات. وستظهر الرسالة ، التي تتفرد « شؤون فلسطينية » بنشر ترجمتها ، بالانجليزية (وربما بلغات أخرى) في صحف اوروبية في ذكرى وعد بلفور في الثاني من نوفمبر .

منذ ما يناهز الثلاث سنوات نشرت بعض الهيئات الفلسطينية اعلانا في عدد من الصحف الغربية الكبرى يقول : « المطلوب : بلفور جديد ليؤسس وطنا قوميا في فلسطين لحوالي مليون ونصف المليون من اللاجئين العرب . » ولم يوقت نشر هذا الاعلان مع ذكرى وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ولكن مع الخامس عشر من أيار (مايو) ذكرى قيام دولة اسرائيل في فلسطين . وبالفعل ظهر بلفور جديد ولكن ليس الذي طلبه الفلسطينيون في اعلانهم المذكور ، اذ خلافا لما فعل عمه ، بلفور الاول ، الذي قدم للصهيونيين بلادا ليست ملكه بل ملك شعب اخر ، لم يهب بلفور الثاني لاغاثة الفلسطينيين المضطهدين (بفتح الهاء) ، وحتى لم يكلف نفسه عناء كتابة « وعد » يؤيد فيه قضية الفلسطينيين ولو شكليا . وبدلا من ذلك ، بعث برسالة حاقدة الى صحيفة « تايمز » اللندنية ينحي فيها باللائمة للحالة التي يقاسي منها الفلسطينيون على الفلسطينيين أنفسهم ، وذلك بسبب رفضهم ان يقبلوا شاكرين قرار التقسيم ويتنازلوا بذلك عن جزء من بلادهم . وكأني به يقول لهم ان يظلوا قابعين أبدا في خيام اللجوء .

بالطبع لم يكن الغرض من الاعلانات التي نشرت في الصحف الغربية هو مناشدة بلفور جديد ليزيل الحيف الذي ألحقه بلفور الاول بالفلسطينيين (فقد قال أحد الفلسطينيين مؤخرا : « الحاجة لبلفور هي لخلق أشياء غير موجودة ، وما دامت فلسطين قائمة بالفعل فليست هناك حاجة لمن يخلقها . »). وفي الحقيقة كان النداء يرمي ، بدلا عن ذلك ، الى لفت انتباه العالم لقضية الفلسطينيين في وقت كان فيه قطاع كبير من الرأي العام العالمي يقف مشدوها ومعجبا بالمنجزات الضخمة التي حققتها اسرائيل في ١٩٦٧ في حين كان الاف الفلسطينيين يرغمون او « يشجعون » على مغادرة بلادهم لفسح المجال أمام الاف المهاجرين اليهود الجدد الذين كان من المتوقع ان يتدفقوا على اسرائيل « المحاصرة » و« الصغيرة » رغم توسعها. وهكذا كانت الهيئات الفلسطينية المختلفة تأمل من وراء اعلانها الى لفت انتباه العالم الى قضيتها وتوضيحها وكسب ولو بعض التأييد لمواطنيهم النازحين . وبالفعل نجح النداء في تحقيق هذه الاهداف الثلاثة ، ولو بشكل محدود .

لقد سارت « قضية الفلسطينيين » خلال السنوات الثلاث الاخيرة من سيء الى اسوأ . فاسرائيل ما تزال تحتل فلسطين كلها وتنشيء فيها المستعمرات — طبعا ليس فقط في المنطقة التي قدمها بلفور للصهيونيين لاقامة « وطن قومي